جرائم أمريكا والغرب

٥

السودان المفترى عليه

■ فتش عن إسرائيل
■ فتش عن الصليبية

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

عندما يدقق الإنسان النظر فيما يجري في العالم عمومًا، وما يجري في مصر والسودان خصوصًا يضع الإنسان يده على قلبه لأكثر من سبب.

فالنظام العالمي الجديد الذي راح يتشكل الآن بعد انهيار الكتلة الشيوعية يضع على رأس قائمة أعدائه «الإسلام والمسلمون» ويطرح روحًا عنصرية وصليبية قديمة جديدة، بحيث إنه ليس من المبالغة القول : إننا بصدد حملة صليبية ثالثة تستهدف العالم الإسلامي على اعتبار أن الحملة الصليبية الأولى كانت بدءًا من ١٠٩٨ والثانية بدءًا من ١٧٩٨، الأولى انتهت بهزيمة الغرب الصليبي، والثانية انتهت بحركة تحرر وطني نجحت في طرد الاستعمار، الأولى وجدت مَنْ يتصدى لها أمثال : صلاح الدين الأيوبي وعماد الدين زنكي وغيرهما، والثانية وجدت من يقاومها أمثال : عبد القادر الجزائري، وعبد الكريم الخطابي، وعمر المختار، وعمر مكرم، وعز الدين القسام وغيرهم. ولكن الحملة الثالثة التي نحن بصددها لم تجد حتى الآن مَنْ يتصدى لها، بل الأخطر أنها تجد من بين العرب والمسلمين مَنْ يروج لمبادئها ويدعو إلى اللحاق بركبها الذي تقوده قوة عمياء ومتغطرسة هي أمريكا، أكثر من ذلك أن تلك الحملة الصليبية الثالثة التي نحن بصددها تمتلك من الإمكانات العسكرية والإعلامية ووسائل الاتصال ، مما يجعل الأمر شديد الخطورة على الحضارة الإسلامية بل على وجودنا كأمة أصلاً.

وليست هذه دعوة لليأس بقدر ما هي لإدراك خطورة المسألة وأبعادها والبحث عن وسيلة للانعتاق منها.

- إن من الأهداف المعلنة والقريبة المدى لتلك الحملة الصليبية الثالثة التي

obeikan.com

يقودها كل من البابا يوحنا بولس الثالث والرئيس الأمريكي بوش هي تنصير أفريقيا وإدماجها قسرًا في الحضارة الصليبية لحصار العالم الإسلامي ، والقضاء عليه -لا قدر الله مستقبلاً- باعتبار أن أفريقيا في المجال الحيوي الطبيعي للعالم الإسلامي.. وهنا تبرز أهمية السودان باعتباره مفتاح أفريقيا، ويبرز أيضًا لماذا يحظى السودان بهذا الكم من العداء والمؤامرات بعد قيام نظام إسلامي به استطاع أن يضع السودان على طريق الوحدة ويقضي على التمرد في الجنوب ويحشد أبناء السودان جميعًا للدفاع ضد المخطط الأوربي الصليبي الذي يستهدف أفريقيا. ويمكننا ، مثلاً ، أن نرصد الجولات التي يقوم بها البابا يوحنا بولس الثالث في أفريقيا لدرجة أنه يزور البلاد التي يشكل المسلمون فيها أكثر من ٩٥٪ من سكان في دلالة واضحة إلى ما يريده البابا يوحنا بولس الثالث ، وما يخطط له تجاه أفريقيا ، ويمكننا أن نرصد في الإطار نفسه المضايقات التي لا حصر لها التي يتعرض لها السودان حاليًا من صندوق النقد الدولي، أو الاتهام بتشجيع الإرهاب ، وهي التهمة الجاهزة لدى الغرب حاليًا لتبرير الاعتداءات المزمع إنجازها، وكذلك محاولات ضرب ليبيا أو حصارها اقتصاديًا للقضاء في النهاية على أي دور إسلامي تقوم به في أفريقيا وجعل السودان وحيدًا في النهاية ليسهل ضربه والقضاء على ثورته الإسلامية؛ لتصبح أفريقيا مفتوحة تمامًا أمام الحملة الصليبية الثالثة التي تقودها أمريكا والفاتيكان، ويمكن أن نرصد أيضًا محاولات الوقيعة بين مصر والسودان خاصة أن تلك المحاولات يقوم بها سياسيون ومفكرون من جميع البلاد والاتجاهات ، الأمر الذي يكشف عن محرك العرائس التي يحركها. ومن العجيب في هذا الصدد أن تتوافق نفحات الهجوم على السودان من كل الاتجاهات من أمريكا، ومن البرلمان الأوربي الموحد، ومن الصحافة الغربية، والصحافة المحلية ، فنجدها تجمع بين فرج فودة، حسين أمين، ميلاد حنا، بل نجدها تجمع بين صحيفة الوفد

وصحيفة التجمع رغم اختلاف المشارب.

- إن خبرة التاريخ - وهذا أخطر ما في الأمر - تقول: إن الإنجليز تدخلوا سنة ١٨٨١ لذبح الثورة الإسلامية العرابية في مصر، وأنهم بعد احتلال مصر نجحوا في استخدام الجيش المصري والموارد المصرية في إخضاع السودان للنفوذ الإنجليزي الصليبي، بل ومن الحقائق المعروفة أن جوردون باشا وهو قس صليبي معروف كان يؤدي مهمته التنصرية في السودان، ويأخذ مرتبه من الخزانة المصرية، وهذه الخبرة التاريخية بالتحديد هي ما تجعلنا نضع أيدينا على قلوبنا؛ خوفًا من تكرارها، فيتم الإيقاع بين مصر والسودان بوسائل متعددة؛ فتكون النتيجة أن يتم ذبح الثورة الإسلامية في السودان على يد مصر وبموارد مصر، مثلما حدث في ذبح الثورة الإسلامية المهدية في السودان أيضًا بيد الجيش المصري وبموارد الشعب المصري ولحساب الإنجليز في النهاية، بل إن المخطط الذي يقوده الأمريكان والفاتيكان هذه المرة يمكن أن يضرب عصفورين بحجر واحد فيتم ذبح الثورة الإسلامية في السودان بيد مصر، ويتم في الوقت نفسه ذبح الحركة الإسلامية في مصر بدعوى العمالة للسودان، ويتم الإيقاع بين الشعبين لتصبح مصر والسودان وأفريقيا فريسة سهلة للنفوذ الأمريكي أو الحملة الصليبية الثالثة، ونسأل الله أن يكون المسئولون في البلدين أذكى من الوقوع في هذا الفخ.

- إن من الحقائق التاريخية أن السودان ضروري لمصر، وأن مصر ضروري للسودان وأن الوحدة بين البلدين ضرورة استراتيجية لكل منهما، بل هي ضمانة أكيدة للبقاء، ولعل هذا الأمر ما جعل كل الفرقاء ومختلف القوى السياسية الشريفة يؤكدون على هذا الأمر؛ لدرجة أن مصطفى النحاس باشا زعيم حزب الوفد يقول: «تقطع الأيدي ولا يفصل السودان عن مصر».. ولم يشذ عن هذا الأمر الذي

كان بمثابة الحقيقة التاريخية التي تحظى بالإجماع الوطني إلا بطرس باشا غالي الذي وقع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ فاستحق الإعدام على يد شباب الحزب الوطني «إبراهيم الورداني»، وكذلك عبد الناصر الذي فصل السودان عن مصر سنة ١٩٥٤ ولم يجد مَنْ يغتاله جزاءً وفاقًا على هذا الأمر، بل وجد الإعلام الأمريكي يجعله زعيمًا وبطلاً!!

ومن المحزن أن مدرسة بطرس غالي وجمال عبد الناصر قد اتسعت الآن ونجد فيها ، أمثال : فرج فودة، وميلاد حنا، وحسين أحمد أمين وصحفًا ، مثل : صحيفة الوفد والأهالي وأكتوبر.

إن المخطط أكبر كثيرًا مما نتصور، والمسألة تحمل ملامح مؤامرة واسعة ضالع فيها هذه المرة أمريكا وأوربا والفاتيكان وقوى سياسية وصحفية محلية، وما لم تتسم معالجة هذه القضية بالشجاعة والحكمة في آن واحد ؛ فإن المخطط سوف يظهر سريعًا ويسير في اتجاه التطبيق ، وحين ذاك لا ينفع الندم.

■ ■ ■

obeikan.com

■ جرائم أمريكا في هذا الزمان :

فتش عن إسرائيل
فتش عن الصليبية

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

التآمر الصليبي على السودان حقيقة معروفة ومشهورة ولا يختلف عليها اثنان؛ وهكذا لم يكن غريبًا أن يكون الحديث عن السودان يشغل مساحة كبيرة في الوثائق والتقارير والأبحاث الخاصة بالتنصير سواء تلك الصادرة عن مؤسسات التنصير العالمية أو تلك التي تكشف هذه المؤامرة، ولم يكن عجيبًا أن يفرد الدكتور عبد الودود شلبي أكثر من ربع كتابه المهم عن التنصير للسودان، والآن لنقرأ شيئًا من الحقائق والوثائق التي جاء بها كتاب الدكتور عبد الودود شلبي «الزحف إلى مكة – حقائق ووثائق عن مؤامرة التنصير في العالم الإسلامي».

يقول الدكتور عبد الودود شلبي: «إن بلاد السودان.. أو سودان وادي النيل يحتل في حدوده الإدارية ما يقرب من مليون ميل مربع ، وهو يعادل في مساحته ثماني دول أوربية هي: السويد والنرويج والدنمارك والجزر البريطانية وإيطاليا وإسبانيا وفرنسا والبرتغال – الدول الأوربية كلها ثلاث عشرة دولة – كما تقع على حدوده الجنوبية أوغندا وزائير وكينيا وشرقًا أثيوبيا وأرتيريا، وغربًا تشاد وأفريقيا الوسطى، وشمالاً مصر وليبيا، والميزة الرئيسية لموقع السودان أنه يمثل أكبر عمق إسلامي في أفريقيا، وهو كذلك يمثل أكبر وحدة عربية إسلامية حافظت على لغتها العربية وعقيدتها الإسلامية».

ونضيف ، نحن ، إلى ذلك: أن السودان يمتلك قدرة إنتاجية زراعية هائلة تستطيع – لو تم استثمارها – أن تحدث اكتفاءً ذاتيًا عربيًا وإسلاميًا من المواد الغذائية وغير الغذائية، أي تحقق استقلالاً اقتصاديًا عربيًا وإسلاميًا هائلاً، يقلص بالضرورة من النفوذ السياسي الغربي علينا المرتبط بحاجاتنا المستمرة للغذاء من أعدائنا.

ونضيف أيضًا أن السودان به الجزء الأكبر من منابع النيل، وهو أيضًا يمثل المجال الحيوي والاستراتيجي لمصر، وأن مَنْ يمتلك السودان يتحكم في حياة مصر،

وبالتالي فلو سقط السودان- لا قدر الله- في قبضة الصليبيين ؛ فإن ذلك لا يفتح أمامهم أفريقيا وحدها، بل يمكن أن يخنق مصر، ومصر هي قلب الإسلام وأهم قواعد الحضارة الإسلامية أمس ءاليوم وغدًا.

والجنرال سوار الذهب يؤكد هذا الأمر، ففي حوار له مع مجلة الحوادث اللندنية بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٨٥ يقول سوار الذهب «هناك حقيقة كبرى فيما يخص التمرد في الجنوب وهي التوجه العنصري الذي أظهرته تلك الحركة وأهداف المخططين لها، فالهدف الحقيقي لهذه الحركة كما تظهره التحقيقات المستمرة هو إبعاد العناصر العربية المسلمة من السودان كافة ، وليس من الجنوب وحده، والقضاء عليها» ويضيف الجنرال سوار الذهب «السودان من حيث خصوصيته العرقية والمذهبية يمكن اعتباره ثغرًا عربيًا مسلمًا في موقع متقدم من القارة الإفريقية، فإذا استمرت الموجة العنصرية التي أشرت إليها وإذا سمح للتيار المعادي للعروبة والإسلام بأن ينجح فلا شك أن الخطر يتهدد الأمة الإسلامية بكاملها، ولابد أن يهتم الأخوة العرب والمسلمون بخطورة هذه الأوضاع».

ويضيف الجنرال سوار الذهب «لابد من القول بأن جهات خارجية معروفة كانت ولا تزال تقف مع العقيد جرانج وتمده بالأسلحة».

ثم يصل الجنرال سوار الذهب إلى خطورة هذا التمرد على مصر قائلاً: «إن السودان يمثل عمقًا حيويًا مهمًا للشقيقة مصر، وأن كل ضيم أو خطر يصيب السودان – لا سمح الله– لابد أن يقلق الإخوة في مصر ويكون مدعاة لانتباههم وعنايتهم». ثم يلخص الجنرال سوار الذهب المسألة برمتها قائلاً: «والمخططات بعيدة المدى للحركة العنصرية الملتحمة مع حركة التمرد في الجنوب لا يستبعد أن تتربص بأي بلد عربي مسلم وأفريقي يتميز بمواصفات حضارية تعددية تصبح ذات خطورة إذا

حاولت جهات مشبوهة النفاذ منها إلى أمن البلد ووحدة ترابه وسكانه.

وفي الحقيقة فإن التحقيقات تكشف أولاً بأول مدى خطورة تلك الحركة على السودان ومصر والعالم العربي وأفريقيا والعالم الإسلامي كله، وهذا يفترض منا ومن كل عربي ومسلم الحذر واليقظة والانتباه».

على أن جون جارانج نفسه يعترف بالحقيقة العارية قائلاً: «السودان هو بوابة الإسلام والعروبة إلى أفريقيا ، فلتكن مهمتنا الاحتفاظ بمفتاح هذا الباب؛ حتى لا تقوم للإسلام والعروبة قائمة في جنوب الصحراء الكبرى».

وجارانج هذا الذي يقود التمرد في الجنوب تعلم في مدارس الكنيسة وحصل على الدكتوراه من أمريكا!

على أي حال ؛ لنكمل قراءة باقي الوثائق في كتاب الدكتور عبد الودود شلبي، يقول الدكتور عبد الودود شلبي: «كنت في زيارة إلى لندن ، وقد لفت نظري أحد الأصدقاء إلى مقال في صحيفة الأوبزرفر ، وكان موضوع المقال عن السودان، وقد ذكر هذا الكاتب أن السودان كان بلدًا مسيحيًا ولابد أن يعود مسيحيًا..! وأن الحرب في الجنوب ليست سوى تجربة لحروب أخرى ستشتعل في كردفان وجبال النوبة والأخطر من ذلك أن يذكر هذا الكاتب أن استغلال ثروات السودان مؤجل إلى أن يحين الوقت الذي نسمح فيه بهذا العمل ولن يجيء هذا الوقت قبل أن نحدد نحن معالم السودان وشخصيته في المستقبل».

وينقل الدكتور عبد الودود تصريحًا لقسيس اسمه جاكسون لصحيفة الجارديان البريطانية بأن الهدف الذي يسعى إليه المنصرون إنما هو إقامة حزام جغرافي لمجموعة الدول النصرانية التي تتحكم في منابع النيل، وهذه الدول التي يعنيها هذا المنصر هي جنوب السودان بعد نجاح المؤامرة ، وأوغندا التي يبلغ عدد المسلمين

فيها أكثر من ٧٥٪ وكينيا التي لا يزيد عدد المسلمين فيها على ٢٥٪ وأثيوبيا «يبلغ عدد المسيحيين فيها أيضًا ٣٥٪ والهدف الذي يسعون إليه طبعًا هو التحكم في أي بلد يعتمد على مياه نيل مصر مثلاً»..

ويعترف رالف شتاينر وهو أحد قادة التمرد وهو قسيس أبيض جاء إلى السودان لمساعدة التمرد.. يعترف بعد أن سقط في الأسر قائلاً: «لقد ترعرع التمرد الانفصالي في أحضان الاستعمار الصليبي منذ أن فرض الاستعمار البريطاني عزلة تامة على جنوب السودان ووضع له إدارة منفصلة، وجعل التعليم فيه تابعًا للإرساليات حتى يتخرج الجيل الذي يقود التمرد».

ويقول الأستاذ حسن مكي في كتابه المهم «التبشير المسيحي في العاصمة المثلثة»: (إن التدخل في الشئون الداخلية للدول يعتبر جزءًا من الدور الاستعماري الذي تقوم به المؤسسات التنْصرية حيث تعتبر ذلك جزءًا من عملها لقيام إمبراطورية نصرانية تسيطر على العالم، ففي جميع الدول التي أقام بها دعاة التنصير مراكز لهم أصبح هذا الدور واضحًا جليًا؛ فقد قام مجلس الكنائس العالمي بدور بارز في إدارة الجنوب في السودان حين تبنى تلك الحرب الداعية إلى انفصال جنوب السودان عن شماله رغم قلة عدد النصارى هناك، حيث لا يتجاوز عددهم ٧٪ من تعداد الجنوب».

ويكشف الدكتور عبد الودود شلبي العديد من الهيئات الصليبية التي تدعم التمرد في الجنوب مثل اتحاد الطلاب المسيحيين البروتستانت بجامعة بون بألمانيا الغربية؛ فقد جمع الطلاب الذين ينتمون إلى هذا الاتحاد تبرعات من المواطنين تحت رعاية الكنيسة، كما تم فتح حساب لهذه التبرعات في البنك التجاري بعاصمة ألمانيا الغربية تحت رقم ٢/ ١٠٦٧٦ كما أسهم قساوسة الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بإيطاليا بقسط موفور في النشاط لدعم حركة الانفصال في جنوب السودان، وكان

أعلب قساوسة هذه الكنيسة من الذين باشروا أعمالاً سياسية وتخريبية في الجنوب وصدر القرار بطردهم من السودان عام ١٩٦٣، ومن الأسماء التي أعلنتها الحكومة السودانية وهي تبرهن على اشتراك هؤلاء القساوسة في أعمال المعونة للانفصاليين (بين أسماء ثلاثة قساوسة بالذات كانوا يعملون في مديرية بحر الغزال وهم البيشوب دومنيك فيرايرا، الأب أدوارد ماسون، الأب الفونس روزي) وكان هؤلاء قد قاموا بجمع التبرعات من بعض الدول الكاثولويكية الأوربية ومجموعة الدول الإسكندنافية، كما قاموا بحملة صحفية في أوربا لتأييد الانفصال في الجنوب.

وكذلك جمعية الدعم الأفريقي بألمانيا الغربية التي أسسها عام ١٩٦٤ طبيب يدعى «لوبا»، وأنشأ فروعًا لها بمدينة فرانكفورت وأخرى بمدينة كولون بألمانيا الغربية، وفتح لها صندوق توفير بالمدينة الأخيرة تحت رقم ٦٩٩٩، ثم أنشأ فروعًا لها بمدينة كراكاس وميونيخ وهامبورج لتواصل دعمها للانفصاليين، وهناك لجنة لعمل «بيافرا السودان» وهي منظمة كاثوليكية بألمانيا الغربية، وكذلك منظمة لمساعدات الألمانية، والكنيسة الكاثوليكية البروتستانتينية وهي هيئة نشطة في ألمانيا وتجمع التبرعات من الألمان وقد فتحت لها حسابًا باسم إعانة السودان، ثم هناك هيئة العمل الطبي بفرانكفورت بألمانيا الغربية وهيئة الخدمة الألمانية، ثم منظمة جنوب السودان وهي مسجلة رسميًا في لندن ومن بين أعضائها أساتذة في الجامعة وأعضاء في البرلمان، وتقوم بنشاط واسع لدعم التمرد كما تضم في عضويتها اثنين من زعماء التمرد وهما «بادنج جرنج» و«يعقوب جيبل».

ويترجم الدكتور عبد الودود شلبي وثيقة في غاية الأهمية لأسقف الكنيسة الإنجليزية في الأربعينيات القس ترمنجهام، وتقول تلك الوثيقة: «إنه بتطور

الكنيسة المسيحية في الجنوب فإننا مواجهون باللقاء المرتقب بين المسيحية السودانية والإسلام السوداني إذ بتحرر – كنيسة الجنوب من عقدة العرق – بالرغم من وجود استيطان أبيض – فإنها ستشعر بغبطة عندما تصبح الديانة الرسمية للجنوب، وإنه من واجبنا في الشمال الإعداد لذلك اليوم، وسنسعى إلى تأسيس مراكز مسيحية في ديار الإسلام؛ حتى تصير للمسيحية في الجنوب نقاط ارتكاز ، حينما تندفع في اتجاه الشمال.

■ إسرائيل على الخط:

أمَّا إسرائيل من جانبها ، فإنها تحركت بنشاط في أفريقيا عمومًا وجنوب السودان وأثيوبيا خصوصًا، وليس سرًا أن جون جارانج بالتحديد قد زار إسرائيل عدة مرات، وأن هناك خبراء إسرائيليين يعملون مع قوات التمرد، وأن هذا التمرد يتلقى دعمًا ماديًا وتدريبيًا هائلاً من إسرائيل، وأن الكثير من سلاح المتمردين يأتي من إسرائيل، وليس جديدًا أيضًا أن إسرائيل حاولت إقامة مشروعات في أثيوبيا بهدف حرمان مصر من جزء كبير من مياه النيل، وأنها كانت مع غيرها وراء تحريض التمرد في الجنوب على ضرب مشروعات الري التي تهدف إلى زيادة حصة كل من السودان ومصر من مياه النيل، وليس جديدًا أيضًا أن حاجة مصر إلى المياه ، وزيادة حصتها من تلك المياه أمر أصبح حيويًا بالنظر لازدياد حاجات مصر من المياه أمَّا لماذا تفعل إسرائيل هذا؟ فإن ذلك يرجع إلى سببين، السبب الأول : عام ، وهو التحالف الطبيعي الذي نشاهده الآن بين اليهود والصليبيين بهدف القضاء على العالم الإسلامي وجودًا وحضارة أو إضعافه وحصاره حتى لا يصبح عقبة في وجه المخططات الصليبية واليهودية، والسبب الثاني : خاص ، وهو أن إسرائيل ترى أن مصر القوية هي العقبة الرئيسية أمام الحلم الإسرائيلي بإقامة إسرائيل الكبرى من

النيل إلى الفرات؛ وأنه لابد بالتالي من إضعاف مصر بجميع الوسائل وأنه لا يشفع لمصر هنا توقيعها لمعاهدة سلام مع إسرائيل، لأن الهدف ضرورة إضعاف مصر وتفكيكها وجعلها بلا قوة أو نفوذ أو قدرة على مواجهة المخطط الصهيوني، وأهم نقطة في إضعاف مصر هو حصارها من السودان والتحكم في منابع النيل.. وعلى أي حال ، فتفاصيل المخطط معروفة ونشرها الدكتور حامد ربيع في أكثر من كتاب ومقال خاصة في كتاب «الإسلام والقوى الدولية».

■ ■ ■

obeikan.com

obeikan.com

مصر والسودان

◆◆◆

obeikan.com

يقول الأستاذ عبد الرحمن الرافعي – المؤرخ المصري المعروف– «السودان جزء لا يتجزأ من مصر، والحدود القومية والجغرافية لمصر تشمل وادي النيل من منبعه إلى مصبه، فمصر والسودان جزءان لا ينفصلان من وحدة سياسية واقتصادية لا تقبل التجزئة، تربطهما روابط الوطن والتاريخ واللغة والدين، وصلات الدم والنسب والمرافق المشتركة».

ويضيف الأستاذ عبد الرحمن الرافعي: «إن ارتباط مصر والسودان ضرورة حيوية لهما، وخاصة مصر، فإنها تستمد حياتها من النيل ، فهي هبة النيل كما قال هيرودوت، أو كما يقول المعاصرون : «مصر هي النيل ، والنيل هو مصر»، فلا تطمئن على حياتها إذا تملكت منابع النيل دولة أخرى، ولا يتحقق استقلال مصر التام إلا إذا شمل وادي النيل من منبعه إلى مصبه، وصارت هي والسودان وحدة سياسية تتألف منها الدولة المصرية المستقلة، ولا تمييز في ذلك لمصر على السودان في هذه الوحدة، فكلاهما جزء لا يتجزأ من هذا الوادي، وكلاهما يكمل الآخر ولا غنى له عنه؛ فمصر لا تستطيع أن تقف على قدميها منفصلة عن السودان، والسودان أيضًا لا يستطيع أن يقف على قدميه منفصلاً عن مصر، وإذا انفصلا يفقد كل منهما كيانه ويصبح كلاهما إقليمًا تنقصه مشخصات الدولة ومقوماتها».

وفي الحقيقة ، فإنه لا يشذ عن إدراك هذه الحقيقة أي مصري أو سوداني – اللهم إلا عملاء الاستعمار أمثال بطرس غالي وعبد الناصر وجون جارانج – أمَّا جميع زعماء مصر وقواها السياسية ومفكروها المحترمون من جميع الاتجاهات ، فهي تتفق على هذا الرأي. فقضية وحدة مصر والسودان كانت دائمًا من القضايا المحسومة التي لم يفكر أحد أو يجرؤ أحد من الحكام أو السياسيين على التخلي عنها، برغم كل الظروف ، ومهما كانت الأسباب، فحتى الدول الأوربية التي قامت بتصفية مشروع

محمد علي ، والتي كانت تخطط لفصل السودان عن مصر، لم تستطع في ذلك الوقت ١٨٤٠ أن تجبر محمد علي على التخلي عن السودان؛ لأنها كانت تعرف أنه لن يقبل بذلك حتى ولو حارب حتى آخر جندي مصري وسوداني، ففضلت أن تنتظر لتنضج الطبخة أو المؤامرة الصليبية على مصر والسودان على نار هادئة، والخديو إسماعيل برغم كل أخطائه وخطاياه أصر على توسيع أملاك مصر الأفريقية وتأكيد وحدة السودان ومصر بل ووصل إلى منابع النيل في أثيوبيا وأوغندا؛ لأنه كان يعرف أنه لا حياة آمنة ومستقرة لمصر إلا بتأمين منابع النيل.

والحزب الوطني الذي قاد الكفاح المصري ضد الاستعمار الإنجليزي منذ الاحتلال وحتى ثورة ١٩١٩ أصر دائمًا على وحدة وادي النيل، وأصر دائمًا على المطالبة بالجلاء الكامل من مصر والسودان ، فمحمد فريد يقول: «إن مصر هي كل وادي النيل من أقاصي السودان إلى البحر الأبيض المتوسط ثم إلى البحر الأحمر بما يشمل كردفان ودارفور؛ لأنه لا يجهل إنسان أن مَنْ يملك أعالي النيل إنما يملك رقبة مصر».

ويضيف محمد فريد: «يجب أن يكون وادي النيل لنا وحدنا غير مجزأ ولا مقسم كما كان ذلك منذ أن وجد الأب البار لهذا الوادي ألا وهو النيل».

وحتى عندما تولى الوفد زعامة الحركة الوطنية المصرية بعد ثورة ١٩١٩، وبرغم علمانية الوفد فإن الحقيقة كانت واضحة لا لبس فيها ولا غموض فها هو ذا سعد زغلول يقول: «لو تركنا السودان ، فالسودان لا يتركنا»، ومصطفى النحاس يقول: «تقطع يدي ولا يفصل السودان عن مصر» (*).

(*) لا ندري ما الذي حدث في الوفد، الذي تمسك دائمًا بوحدة مصر والسودان حتى تصبح صحيفته في عهد جمال بدوي هي لسان حال الانفصاليين في السودان، ويصبح جارانج الصليبي وعصابته ومؤيدوه هم نجوم صفحة الأشقاء التي تفردها صحيفة الوفد أسبوعيًا للتغزل والإشادة بجون جارانج وأتباعه في الجنوب والشمال، إنها ليست صحفة الأشقاء بل صفحة «الأشقياء»..

وعندما استعادت الحركة الإسلامية زمام المبادرة في الحركة الوطنية المصرية عقب ظهور جماعة الإخوان المسلمين ، كانت تلك الحقيقة هي إحدى الأسس الثابتة لتلك الحركة... يقول الإمام الشهيد حسن البنا: «شعب وادي النيل في الشمال والجنوب شعب واحد».

❊ ❊ ❊

كانت إذن وحدة مصر والسودان حقيقة تاريخية وجغرافية ثابتة منذ أن نشأ الأب لبار لهذا الوادي ، وهو النيل كما يقول الزعيم الفذ «محمد فريد»، وعندما دخل لإسلام إلى وادي النيل ، فإنه أكد هذه الحقيقة ، وأضاف إليها بعدًا إسلاميًا وثقافيًا وعقائديًا وظلت هذه الوحدة حقيقة راسخة في جميع أزمنة الحكم الإسلامي وحتى الخلافة العثمانية، وعندما ضعفت هذه الخلافة وبدأت أوربا الصليبية تعد مشروعها الصليبي الثالث، كانت تضع على رأس أولوياتها ضرورة فصل السودان عن مصر والسيطرة على السودان وتنصيره؛ وذلك بهدف عزل الإسلام عن جنوب الصحراء من ناحية، وفرصة للوثوب على مصر ، والقضاء عليها في مراحل لاحقة باعتبارها ثقلاً حضاريًا إسلاميًا كبيرًا.

ويحدثنا إبراهيم باشا فوزي في كتابه «السودان بين يدي غوردون وكتشنر» الجزء الأول ص٥٨ قائلاً: إن دولة أوربية كبيرة هي انجلترا كانت تستعد في ذلك الوقت لاحتلال السودان ومنابع النيل وهذا ما دفع محمد علي لفتح السودان وإنفاذ الحملة إليه».

على أية حال ، نجح محمد علي في تأكيد وحدة مصر والسودان بتلك الحملة التي لم تكلفه كثيرًا على مستوى الموارد المالية ولا على مستوى الخسائر البشرية، وهذا يدفعنا إلى القول بأنه لو اهتم محمد علي بمشروعه الأفريقي، ولو استخدم قوة مصر

ومواردها الهائلة في فتح أفريقيا في ذلك الوقت المبكر لكان وجه التاريخ قد تغير؛ لأن فتح أفريقيا لم يكن يكلفه على مستوى الموارد والأفراد ١٠٪ مما أنفقه في حروب لا طائل وراءها في الجزيرة العربية والشام والأناضول ، وهي التي أدت إلى استنزاف موارد مصر واستنزاف موارد الخلافة العثمانية وإضعافها في وقت واحد، وانتهت إلى إضعاف مصر والخلافة معًا ؛ مما تسبب بعد ذلك في سقوط الخلافة العثمانية وبدء السيطرة الاستعمارية الأوربية على العالم الإسلامي وأفريقيا، نعم لو تفادى محمد علي الصدام مع الخلافة ، وهو الفخ الذي أوقعته فيه أوربا، لظلت مصر بكامل قوتها ولظلت الخلافة قوية ولو إلى حين تقلق فيه أوربا وتشغلها عن مشروعها الاستعماري خاصة في أفريقيا ولكان محمد علي بكامل الموارد المصرية استطاع أن يفتح إفريقيا كلها؛ لأن خطوط المواصلات في ذلك الوقت لم تكن تسمح لأوربا بمعارضة وعرقلة هذا المشروع ، ولأن أوربا كانت مشغولة بالهاجس العثماني، ولكان محمد علي قد أقام إمبراطورية إسلامية في أفريقيا تعتمد على موارد مصر وأفريقيا عمومًا – وهي ضخمة وثرية – في إقامة نهضة صناعية وعلمية وعسكرية شاملة، ولكانت أوربا قد حُرِمَت من موارد أفريقيا الغنية وهي الموارد التي بنت أوربا نهضتها الحديثة على أساسها سواء من خلال الثروات الطبيعية أو استخدام الرقيق الأفريقي في بناء النهضة الأوربية، وفي الواقع فإن كل المفكرين والمؤرخين الأوربيين يعرفون هذه الحقيقة، ويعرفون أن الرأسمالية ذاتها نشأت من خلال النهب الاستعماري لأفريقيا ومن تجارة الرقيق، بل إن البنوك الأوروبية المشهورة اليوم وهي التي عدلت الرأسمالية نشأت أصلاً على مقاهي أرصفة الموانئ حيث تجارة الرقيق وتجارة الموارد المنهوبة من أفريقيا، نعم لو تفادى محمد علي الصدام مع الخلافة العثمانية واهتم بفتح أفريقيا لكان قد نجح تمامًا ؛ لأن فتح السودان مثلاً لم يكلفه ١٪ من التكاليف التي تكبدها في معارك الشام والأناضول،

نعم لو فعل محمد علي هذا لكان التاريخ قد تغير، لو فعل محمد علي ذلك لما استطاعت أوربا تحقيق مشروعها الاستعماري ولظلت أسيرة التخلف ولما نشأت النهضة الصناعية الأوربية بل والرأسمالية أصلاً، ولكانت أفريقيا اليوم هي المتقدمة والناهضة على كل مستوى، ولأصبح الجنوب متقدمًا على الشمال ومتفوقًا عليه بل ومسيطرًا عليه على عكس الحال الذي وصلنا إليه اليوم.

على أي حال فإن محمد علي وقع في الفخ؛ فاستنزف موارد مصر في الصدام مع الخلافة العثمانية فحقق أهداف أوربا التي راحت تستكمل مخططها على مصر والسودان وأفريقيا من خلال التسلل إلى مصر بالمرابين والقروض والفساد الأخلاقي، وعندما ثار الشعب المصري من خلال الثورة العرابية على النفوذ الأجنبي فضلت أوربا أن تترك الكعكة للإنجليز وحدهم في مقابل ذبح الثورة العرابية؛ لأن البديل كان ظهور قوة مصرية تستكمل نهضة مصر والسودان، وتشكل خطرًا على المشروع الأوربي في أفريقيا وهو الأمر الذي عبر عنه وزير الخارجية الفرنسي في ذلك الوقت سنة ١٨٨٢ عندما استقبل السفير الإنجليزي في باريس ليقدم له التهنئة على انتصار الجيش الإنجليزي في معركة التل الكبير على القوات المصرية بقيادة أحمد عرابي ، فقد قال هذا الوزير الفرنسي بالحرف الواحد: «إن انتصار انجلترا في تلك المعركة هو انتصار لكل أوربا المسيحية على المسلمين البرابرة، وأنه لو نجحت تلك الثورة لكانت خطرًا على المشروع الحضاري المسيحي الأوربي في أفريقيا». الرافعي – الثورة العرابية.

على أي حال فإنه بنجاح الإنجليز في القضاء على الثورة العرابية واحتلال مصر سنة ١٨٨٢ فإنها بدأت تنفذ مشروعها الصليبي في السودان، وكانت تفرض على الحكومة المصرية – بحكم الاحتلال طبعًا – أن تتخذ على نفقتها وأحيانًا

برجالها من الإجراءات ما يحقق ذلك الهدف، وكان أكبر تلك الإجراءات وأخطرها إلغاء الجيش المصري، ثم إعادة تشكيله وتعيين سردار إنجليزي قائدًا، ثم تعيين حكمدار إنجليزي للسودان هو الجنرال جوردن وهو قسيس إنجليزي في لباس جنرال ، لدرجة أنه عندما قُتِلَ على يد الثورة المهدية التي تصاعدت في ذلك الوقت وصفته الملكة فيكتوريا حسب قول الآن مورهيد في كتابه «النيل الأبيض» بأن جوردون هو شهيد المسيحية البطل، وجوردون هذا- الذي كانت تدفع له الخزانة المصرية راتبه- هو الذي أقام الكثير من دعائم التنصير في السودان، وأعد العدة لفصل الجنوب عن الشمال، وهو الذي استورد القساوس من كل مكان لتنصير شعب السودان وتنفيذ المخطط الصليبي فيها، وهو الذي فعل كل شيء للوقيعة بين الشعبين المصري والسوداني، ويقول عنه جمال الدين الأفغاني في مجلة «العروة الوثقى»: «إن السودانيين لم تلتئم جراحهم من ظلم جوردون عندما كان حاكمًا عليهم؛ فقد رسخ في قلوبهم أنه أعدى أعداء الدين الإسلامي».

ولعل ما يؤكد صليبية هذا القس ودوره المشبوه، أن لويس عوض- وهو الضالع دائمًا في المؤامرات الصليبية على مصر والعالم الإسلامي- قد أشاد به ووصفه بالفارس النبيل، بل وأفرد له فصلين في كتابه عن تاريخ مصر الحديث الذي أصدرته له الهيئة المصرية للكتاب بأموال المسلمين.

على أية حال ، فإن الثورة الإسلامية المهدية في السودان والتي انفجرت في عام ١٨٨١ في الوقت ذاته مع الثورة العرابية الإسلامية في مصر، لتتقي معها في محاولة الخلاص، أي خلاص مصر والسودان من النفوذ الأجنبي والاستبداد وإقامة كيان إسلامي قوي في مصر والسودان لمقاومة المشروع الأوربي الصليبي في أفريقيا ، كانت قد استطاعت أن تسيطر على أجزاء كبيرة من السودان، و نضم إليها الشعب

السوداني بكامله، بل ووصلت إلى الخرطوم وقتلت جوردن باشا نفسه، ولكن الإنجليز الذي جاءوا بجيشهم وأسطولهم إلى مصر لذبح الثورة الإسلامية العرابية في مصر، استخدموا هذه المرة أفراد الجيش المصري تحت قيادة جنرالات إنجليز على نفقة الخزانة المصرية في ذبح الثورة المهدية الإسلامية، وينشرون نفوذهم في السودان بدماء المصريين وعلى نفقتهم وفي الوقت نفسه يخلقون عداوات ودماء بين المصريين والسودانيين، ولعل أخشى ما يخشاه الإنسان في هذا الصدد أن يتكرر نفس هذا السيناريو الآن على يد أمريكا بعد قيام ثورة الإنقاذ الإسلامي في السودان سنة ١٩٨٩.

على أية حال بعد نجاح الإنجليز في ذبح الثورة المهدية في السودان، قامت إنجلترا بتنفيذ مخططها الصليبي ، ففصلت بعض أجزاء السودان عن مصر وانفردت بها ثم حافظت على وجود مصري شكلي طبعًا في باقي السودان تحت قيادة إنجليزية لاستكمال باقي المخطط؛ لأن الإنجليز المعروفين بالدهاء كانوا يعدون العدة للكثير من المؤامرات في فترات لاحقة وطويلة، فتم إقفال الجنوب في وجه المصريين والسودانيين الشماليين على السواء، وبدأت عملية تنصيره وزرع بذور الفتنة فيه وفرض الإنجليز على أبناء الجنوب تغيير أسمائهم إلى أسماء كنسية، وجعلوا التعليم كنسيًا تمامًا وطمسوا معالم الجنوب تمامًا.

وحتى تؤكد انجلترا نفوذها الفعلي باتفاقية رسمية، لجأت إلى الضغط على مصر لتوقيع اتفاقية ١٨٩٩ التي أطلقت يد الإنجليز تمامًا في السودان، ولَمَّا كانت الحركة الوطنية المصرية في ذلك الوقت ما زالت تتعرف أولوياتها، ولَمَّا كانت تلك الحركة تعرف أن قضية وحدة مصر والسودان قضية لا مساومة فيها، فإن أحد شباب تلك الحركة وهو «إبراهيم الورداني» قام باغتيال بطرس باشا غالي رئيس وزراء مصر ،

obeikan.com

وهو الذي سمح لنفسه بالتوقيع على اتفاقية ١٨٩٩ فكان جزاؤه القتل من شباب الحركة الوطنية، وقد اعترف إبراهيم الورداني بأن توقيع بطرس غالي لتلك الاتفاقية هو الدافع وراء عملية اغتياله.

على أي حال ، ظلت قضية السودان من القضايا التي لا يجرؤ سياسي مصري على المساس بها، بل إن كثيرًا من المفاوضات تحطمت على صخرة تمسك الحكومات المصرية المتعاقبة سواء من الوفد أو من أحزاب الأقلية بوحدة مصر والسودان وعدم التفريط في السودان إلى أن جاء جمال عبد الناصر على رأس انقلاب ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ، فجرؤ وتجرأ ووافق على فصل السودان عن مصر، بل دفعه دفعًا للانفصال؛ وبذلك حقق للإنجليز وللاستعمار الصليبي عمومًا هدفًا كبيرًا عملوا له طويلاً دون جدوى فإذا به يعطيه لهم عن طيب خاطر، وإذا كان بطرس غالي قد وجد مَنْ يغتاله جزاءً وفاقًا على مجرد اتفاقية تسمح للأغلبية بالحكم المشترك مع مصر والسودان دون فصل السودان عن مصر، فإن جمال عبد الناصر لم يجد مَنْ يغتاله جزاءً وفاقًا على فصل السودان عن مصر، بل ووجد مَنْ يصفه بالزعيم الخالد، والبطل وغيرها ولعل هذا هو الفرق بين الإعلام في بداية هذا القرن وبين ذلك الإعلام بعد منتصف هذا القرن أو قل الفرق بين الدعاية الإنجليزية والدعاية الأمريكية، وهي دعاية هوليوودية «نسبة إلى هوليوود عاصمة السينما الأمريكية» متخصصة في صناعة النجوم.

وبانفصال السودان عن مصر، أصبح الطريق مفتوحًا ، والأرض ممهدة لتحقيق الهدف الصليبي في جنوب السودان، بل وفي شماله، وهكذا وجدت القوى الصليبية في الجنوب متسعًا من الوقت والجهد والمال ؛ لبدء حركة مسلحة يقودها هؤلاء الذين تربوا في أحضان مدارس الكنيسة في الجنوب من أمثال جون جارانج،

وبدأت المساعدات من سلاح ومال ودعاية تنهال من كل مكان على تلك الحركة من أمريكا وألمانيا وإيطاليا وفرنسا وبريطانيا، من الكنائس الكاثوليكية والبروتستانتينية، بل ومن إسرائيل، ومع ضعف الحكومات السودانية الواحدة تلو الأخرى كانت تلك الحركة تكتسب يومًا بعد يوم أرضًا جديدة ونفوذًا جديدًا على الجنوب، بل إنها في الأعوام من ١٩٨٥ – ١٩٨٩ كانت قد سيطرت على معظم الجنوب، وأقامت علاقات لا حد لها مع أمريكا وأوربا وإسرائيل، وكثر الخبراء والمبشرون وجنرالات إسرائيليون وأوربيون في صفوف الحركة، ولم تتورع الحركة عن الإعلان عن هدفها ليس فقط في فصل الجنوب بل ، وفي السيطرة على السودان الكامل ، شمالاً وجنوبًا ، وتنصيره وفصله عن محيطه العربي والإسلامي، والاستعداد لحرمان مصر من مياه النيل أو جزء كبير منها، وهذه الحركة التي لم تتورع عن تعطيل مشروع قناة جونجلي الذي كان يستهدف زيادة حصة مصر والسودان من المياه هي ذاتها تجد مَنْ يستقبلها في القاهرة، ويجري مع قادتها مثل جون جارانج الحوارات الصحفية، بل وأن تجعل صحفًا مثل : الأهالي والوفد وأكتوبر من نفسها منبرًا إعلاميًا لهذه الحركة، وكان بعض المسئولين المصريين يشجع أو يغض الطرف عن ذلك الأمر بسبب وجود خلافات تكتيكية سواء مع حكومات ما قبل ثورة الإنقاذ أو بعدها، وهذا بالطبع سلوك يفتقر إلى النظرة العميقة وإلى الإحساس بالمسئولية التاريخية؛ لأن الخلافات التكتيكية- وهي موجودة في كل زمان ومكان- لا ينبغي لها أن تقفز على الحقائق الاستراتيجية الثابتة التي تقول ببساطة : إن خطر حركة التمرد الصليبي في الجنوب على مصر ليس خطرًا عارضًا ولا مؤقتًا بل هو يضرب في صميم حياة مصر والعرب والإسلام.. فضلاً عن السودان الشقيق طبعًا.

ولكن كانت رحمة الله واسعة، فقبل أن يكمل المخطط دورته ويصل إلى مداه

جاءت ثورة الإنقاذ الوطني في السودان بقيادة الفريق عمر أحمد حسن البشير لتضع حدًا لهذا المخطط وتتصدى له وتعيد للسودان وجهه العربي والإسلامي وتمنع عن السودان ومصر والعرب والإسلام خطرًا كان داهمًا ووشيكًا.

■ ■ ■

obeikan.com

وجاءت ثورة الإنقاذ

◆◆◆

obeikan.com

obeikan.com

كشف فرج فوده عن نفسه وعن القوى التي تحركه عندما كتب مقالاً غريبًا في مجلة أكتوبر المصرية، يدعو فيه لأن تقوم مصر بحملة عسكرية على السودان للقضاء على ثورة الإنقاذ بها ؛ لأنها إسلامية وتشكل خطرًا أصوليًا على المنطقة!!

ولم يخجل فرج فودة من أن يقول : إن مصر ليست لها مشاكل مع إسرائيل، وأن كل مشاكلها الآن تتحقق في الخطر القادم من ثورة الإنقاذ في السودان.

وإذا كان فرج فودة، وهو زبون دائم على مائدة السفير الإسرائيلي في القاهرة، وهو أحد الذين يلقون بذور الفتنة الطائفية في مصر دائمًا، وهو المعادي دائمًا وأبدًا للإسلام والمسلمين والتوجه الحضاري العربي والإسلامي، والمدافع دائمًا عن التوجه الحضاري الغربي والمدافع دائمًا عن كل ما هو أمريكي أو إسرائيلي أو غربي قد كشف نفسه في هذا المقال، فإنه أيضًا كشف عن مخطط يعد في أروقة الحكومة الأمريكية والإسرائيلية ودوائر الفاتيكان وهو مخطط خطير جدًا؛ لأنه يقضي بإشعال نار الوقيعة والدسائس بين مصر والسودان عن طريق تسريب معلومات كاذبة أو إثارة الخلافات النائمة حول الحدود أو غيرها والهدف النهائي هو تحقيق هدف الغرب الصليبي وأمريكا وإسرائيل في ذبح الثورة الإسلامية «ثورة الإنقاذ» في السودان ولكن بأيدٍ مصرية وعلى نفقة الخزانة المصرية ، كما فعلت بريطانيا تمامًا تجاه ثورة المهدي أي تكرار السيناريو القديم نفسه، وإذا كانت بريطانيا قد ذبحت الثورة الإسلامية العرابية في مصر أولاً ثم استخدمت نفوذها بعد الاحتلال لدفع حكومة مصر إلى دفع نفقات الحملة على المهدي وتنفيذها بأفراد الجيش المصري تحت قيادة جنرالات إنجليز، فإن المخطط هذه المرة يقضي بأن يتم ذبح الثورة الإسلامية في السودان «ثورة الإنقاذ الوطني» بأيدٍ مصرية، وتكون فرصته في الوقت نفسه لذبح الحركة الإسلامية في مصر بدعوى العمالة للسودان مثلاً، ونسأل الله تعالى أن يلهم

المسئولين في مصر والسودان الحكمة في التصدي لهذا المخطط الشيطاني وعدم الانجرار إليه بالحماقة أو الحماس، كما نسأل الله تعالى أن يلهم الحركة الإسلامية في مصر الحكمة والرشاد فلا يقودها تصرف أحمق أو شخص أحمق أو تستجيب لاستفزاز أحمق من هنا أو هناك ، فتعطي الغرب الفرصة والذريعة لتنفيذ المخطط، وما أكثر ما عانت الحركة الإسلامية المعاصرة من ردود فعل بعض أبنائها غير المدروسة والمتسرعة!

على أية حال ، فإن سلوك الحكومتين المصرية والسودانية حتى الآن ينم عن الحكمة وعن إدراك ضرورة عدم الانجرار والوقوع في هذا الفخ الذي تنصبه دوائر استكبارية دولية ومحلية وتتمنى وأد كل خلاف في مهده ووضعه في إطاره الصحيح وألا نغلب ما هو ثانوي على ما هو جوهري.

ولنعد إلى فرج فوده، فمما لا شك فيه أنه دُفِعَ لكتابة هذا المقال ليس ليكشف المخطط بل ليمهد له؛ لأن الذين دفعوه إلى هذا كانوا يريدون دراسة رد الفعل الحكومي والشعبي في البلدين على مثل هذا الأمر، وبالتالي وانطلاقًا من معرفة رد الفعل ، يمكنهم تحديد طريقة وموعد وأسلوب التنفيذ، وعلى كل حال ، فإن أسلوب دراسة ردود الفعل من خلال تسريب خطة ما، ما هو إلا أسلوب أمريكي معروف ومعتمد لدى دوائر السياسة الأمريكية واستعملته تلك الدوائر أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة.

وفي الحقيقة ، فإنه ليس فرج فوده وحده، فجوقة الخونة والمستعدون لإذكاء نيران الفتنة بين مصر والسودان أو بين أبناء مصر من مسلمين وأقباط أو غيرها من دواعي الفتنة كثيرون ويسيطرون على قطاعات حزبية وإعلامية واسعة في الصحف الحكومية والمعارضة على حد سواء.

obeikan.com

والحملة على ثورة الإنقاذ بدأت منذ اليوم الأول الذي أظهرت فيه توجهها الإسلامي وحركتها الإيجابية لحل مشكلة الجنوب والقضاء على بؤر الفتنة، وكذا منذ معرفة حرصها على تنمية الاقتصاد السوداني بصورة مستقلة وغير تابعة، ويمكننا أن نلمح هذه الحملة في أكثر من مكان خارجيًا وداخليًا، مثل قيام البرلمان الأوربي باعتبار السودان مشجعًا للإرهاب ، وهي التهمة الجديدة التي يستخدمها الغرب لتبرير عدوانه، والأمر نفسه رددته الدوائر الأمريكية الحكومية والصحفية، وهو ما تردده جوقة الخونة مثل فرج فوده وحسين أمين وميلاد حنا ، وهؤلاء المشرفون على صفحة الأشقياء في جريدة «الوفد» وأمثالهم في صحيفة «الأهالي» و«أكتوبر» وغيرها.

وفي الحقيقة ، فإن الأستاذ فهمي هويدي ، مثلاً ، قد وضع يده على هذا الجرح عندما كتب مقالاً ناقش فيه مسالة الهجوم على ثورة الإنقاذ في السودان وذلك في صحيفة الأهرام تحت عنوان: «لماذا نكيل بكيلين» وقال الأستاذ هويدي: «هذه حالة تلبس تصور خطابنا الإعلامي ومثقفينا في وضع باعث على الخجل ، ومثير للتساؤل والدهشة.. فبينما يعلو صوت الجميع بالانتقاد والاحتجاج دفاعًا عن انتهاكات حقوق الإنسان في السودان «وهي مزعومة» ، فإن ذلك الصوت خفت تمامًا حتى لم يكد يسمع إزاء انتهاكات ذات الحقوق في تونس «ثم الجزائر بعد ذلك».. كيف ولماذا؟!!.. تلك هي القضية.

وإذا كان الأستاذ فهمي هويدي قد طرح السؤال كيف ولماذا؟!!.. فإنه لم يقدم الإجابة.. أما هذه الإجابة ، فهي أن ثورة الإنقاذ في السودان جاءت لتعرقل المشروع الاستعماري – الصليبي الأمريكي والإسرائيلي هذه المرة – في السودان ومصر وأفريقيا، جاءت لتقطع الطريق على سقوط السودان بكامله في يد عصابة جارانج؛

وبالتالي سقوط السودان في دائرة التنصير والتغريب والهيمنة الغربية والأمريكية والإسرائيلية، جاءت ثورة الإنقاذ لتقطع الطريق على محاولات خنق مصر وإضعافها عن طريق التحكم في منابع النيل، وأيضًا تحقيق المخطط الطائفي في مصر الذي يدور حول إقامة دولة نوبية تضم مناطق النوبة في السودان وفي مصر ، وهو المخطط الذي كشف عنه العديد من الباحثين ، مثل ، الدكتور رفعت سيد أحمد في كتابه «الاختراق الأمريكي الصهيوني لمصر» والذي أكده اهتمام الدوائر الأمريكية البحثية والاستخباراتية بالقبائل النوبية في مصر وهو الاهتمام نفسه الذي تبديه الدوائر الإسرائيلية خاصة المعهد الأكاديمي الإسرائيلي في القاهرة.. نعم جاءت ثورة الإنقاذ لتكون عمقًا استراتيجيًا لمصر في السودان ، الأمر الذي يغيظ إسرائيل التي تريد مصر ضعيفة ومفككة؛ لأنها تعرف أن مصر وحدها بثقلها التاريخي والسكاني والجغرافي والعسكري هي العقبة الرئيسية أمام حلم إسرائيل في إقامة دولتها من النيل إلى الفرات.. جاءت ثورة الإنقاذ لتعرقل المشروع الاستعماري الصليبي في فصل أفريقيا عن شمال الصحراء وتنصيرها والهيمنة عليها، لتظل مواردها الهائلة في قبضة الاستعمار، تلك الموارد التي كانت شرطًا أساسيًا في ظهور النهضة الصناعية في أوربا ، وهي اليوم لازمة لاستمرار الآلة الرأسمالية في النمو والتصاعد، خاصة وأن أفريقيا تمتلك قدرًا هائلاً من المياه، والمياه أصبحت أهم الموارد على الإطلاق في عالم اليوم.

لهذه الأسباب مجتمعة.. كان الاستفزاز ورد الفعل العصبي من الغرب ومن إسرائيل، ومن القوى المحلية العميلة تجاه ثورة الإنقاذ في السودان، ولعله من الجدير هنا أن نقول : إن هدفًا واحدًا منها أو سببًا واحدًا منها، كان يكفي لمثل هذا الاستفزاز ولمثل هذا الهجوم على ثورة الإنقاذ.

إن أوربا التي سمحت لإنجلترا بالانفراد بالكعكة في مصر سنة ١٨٨٢ مقابل ذبح الثورة الإسلامية العرابية في مصر، والمهدية في السودان حتى لا يظهر كيان إسلامي قوي يكون خطرًا على مشروعها الاستعماري الصليبي في أفريقيا.. هي نفسها اليوم التي تتحرك ومعها أمريكا وإسرائيل والقوى المحلية العميلة للإعداد لنفس الشيء ومنع ظهور كيان إسلامي في تلك المنطقة يكون خطرًا على المشروع الاستعماري الأمريكي والأوربي والإسرائيلي هذه المرة في ذاتها المنطقة، ولا مانع هنا أن تكون الكعكة من نصيب إسرائيل أو أمريكا أو أوربا أو هم جميعًا فهذا أمر ثانوي بالنظر إلى الخطر الإسلامي الصاعد.

***

اندلعت ثورة الإنقاذ الوطني في السودان سنة ١٩٨٩ في ظل ظروف صعبة ومتردية وغاية في الخطورة؛ فالنظام السياسي في السودان كان قد وصل إلى حالة من الضعف والتفكك لا حد لها وهذا أثر بدوره على الأداء الاقتصادي لحكومة السودان، ووصلت المسألة الاقتصادية إلى حافة المجاعة. وصاحب ذلك ترديا عسكريًا وسياسيًا واضحًا على مستوى الحرب في الجنوب، وكان هذا يشكل وضعًا نموذجيًا بالنسبة للقوى المتربصة بالسودان وبمصر وأفريقيا والعرب والإسلام، فالمجاعة والحرمان الاقتصادي يمثل أفضل الظروف لكنائس التنصير لتلعب دورها فتقدم كعادتها الصليب مع الرغيف ومع زجاجة الدواء. وتفكك الحكومة وضعفها يعطي المجال للقوى الصليبية واليهودية لتلعب على هواها في السودان شمالاً وجنوبًا، وتصاعد النفوذ العسكري والسياسي لحركة جارانج يعطي غطاءً قويًا للكنائس والخبراء للعمل بحرية في السودان شمالاً وجنوبًا، جاءت ثورة الإنقاذ سنة ١٩٨٩ لتضع حدًا لكل هذا.

جاءت لتضع حدًا للنفوذ العسكري والسياسي المتزايد لحركة جارانج، وفي أقل من ثلاث سنوات استطاعت حكومة الإنقاذ أن تحقق الكثير من الانتصارات على حركة التمرد، ونجحت في دخول كردفان ودارفور ، وفتح طريق الملاحة في أعالي النيل، وسيطرت على المناطق حول جويا وفي الولاية الاستوائية، ثم جاءت إرادة الله لينهار نظام منجستو في أثيوبيا؛ ليحرم قوات التمرد من قاعدة انطلاق ومجال حيوي كبير، وكذا الانقسام الذي حدث في صفوف حركة التمرد، ويأمل السودانيون في إنهاء التمرد هذا العام، وكذلك تم حصار التمرد سياسيًا ، وذلك بإشراك عدد كبير من ممثلي مختلف قبائل الجنوب في مؤتمر حول مشكلة الجنوب اتفق فيه الجميع على حل محدد لتلك المشكلة، وخلاصة الأمر : أن مشكلة الجنوب في طريقها إلى الحل؛ وأن تلك الخلايا السرطانية قد تم استئصال معظمها من جسم السودان، الأمر الذي ترتب عليه عرقلة الكثير من المشروعات التبشيرية والكنسية في السودان بل ورحيل العديد منها ، وكذلك تنظيف جسد السودان من الخبراء الأجانب من إسرائيليين وأوربيين الذين كانوا يعملون تحت الغطاء العسكري والسياسي لحركة جارانج، ليس هذا فحسب بل إن الانتصار السوداني على جارانج وتحرير الكثير من المناطق من قبضته وحصاره عسكريًا وسياسيًا ، قد جعل الأمل كبيرًا في استئناف العمل في مشروع قناة جونجلي قريبًا، وهي التي سوف توفر ٨ مليارات متر مكعب من المياه تضاف إلى حصة مصر والسودان، وكان العمل في ذلك المشروع قد توقف بسبب محاولات جارانج التخريبية ضد المشروع لعرقلة تنفيذه.

أمَّا على المستوى الاقتصادي فإن الحكومة السودانية رفعت شعارًا خطيرًا مهمًا وهو «نأكل مما نزرع ونلبس مما نصنع» ، واستطاع هذا الشعار أن يحشد كل الشعب

السوداني في محاولة لتحقيق الاستقلال الاقتصادي وقطع خيوط التبعية والحاجة للغرب؛ بما يحقق في النهاية استقلال القرار السوداني ؛ لأن الذي يأكل مما يزرع ويلبس مما يصنع قادر على رفض أي ضغط أجنبي عليه، والمسألة هنا ليست مسألة شعارات رغم خطورتها وصحتها وأهميتها ولكنها تستند إلى طهارة الحكم ونظافة يد الحكام من رجال ثورة الإنقاذ فلا رشوة ولا سرقة، وهذه نقطة متفق عليها بين الجميع حتى أعداء ثورة الإنقاذ لم يجرءوا على توجيه هذه التهم لهم، وهذه الطهارة والنظافة نجحت في إقناع الشعب السوداني في الصبر على كل المصاعب، والاستجابة لكل الإجراءات حتى القاسية منها التي تتخذها ثورة الإنقاذ لتحقيق حلم الاستقلال الاقتصادي أو تلك التي تتخذ بسبب مضايقات صندوق النقد الدولي أو رفض كل الأغنياء من المسلمين مساعدة السودان، وهذه السياسة الاقتصادية كفيلة بتحقيق نهضة هائلة؛ لأن موارد السودان خاصة الزراعية منها هائلة، وطموحات السودان الاقتصادية في ظل ثورة الإنقاذ كبيرة فحسب قول وزير خارجية السودان في تصريحاته لجريدة «الأهرام» المصرية في عدد ١٣/ ٣/ ١٩٩٢ فإن السودان يأمل في ربط شبكة الطرق السودانية بالمصرية، يفصلها ٣٠٠ كيلو متر فقط، وكذا بالإثيوبية يفصلها ٣٥٠ كيلو متراً فقط، وبالتشادية والليبية لربط أفريقيا كلها بشبكة مواصلات، وكذلك عن مشروعات تكامل مع كل من ليبيا ومصر، وهناك آمال حول مشروع جنوب الدمازين بالإضافة إلى قناة جونجلي ، وهي مشروعات مصرية سودانية مشتركة، وفي الحديث ذاته تحدث وزير الخارجية السوداني عن أمله في إزالة الحواجز الجمركية بين كل من مصر والسودان وأثيوبيا وليبيا لتشكل سوقًا هائلة تضم ١٤٠ مليون نسمة وثروات مصر الصناعية ستجد طريقها لهذا السوق بالإضافة إلى المساعدة في زراعة أرض

السودان الشاسعة التي تكفي لسد حاجات العالم العربي كله وزيادة، ونجح السودان في تعبيد الكثير من الطرق بالجهود الذاتية، وكذلك في زيادة إنتاجه من السلع الغذائية اعتمادًا على نفسه وعلى حماس أبنائه وجديتهم في العمل بعد ما لمسوا من جدية الحكومة وطهارتها، وقد حقق السودان في هذا العام ١٩٩٢ اكتفاءً ذاتيًا في السكر والذرة بل وبدأ في تصدير الفائض منهما، وقد غطى أيضًا ٧٠٪ من احتياجات القمح في الموسم الماضي، وينتظر أن يحقق ١٠٠٪ منها هذا الموسم.

ويعلق الأستاذ عادل حسين رئيس تحرير جريدة الشعب المصرية- وهو واسع الاطلاع والتجربة والخبرة في الشئون الاقتصادية وهو مؤلف كتاب «الاقتصاد المصري من الاستقلال إلى التبعية»- على تجربة السودان الاقتصادية قائلاً في مقال طويل تحت عنوان: «دروس في الاقتصاد الإسلامي» نتعلمها من السودان الإسلامي – المعجزة السودانية وكيف تختلف عن العلاج بالصدمة.. قائلا: «الدرس الأول الذي تعلمته من السودان الإسلامي هو عزة النفس واستقلال الإرادة، هذا أساسهم في العلاقات الدولية، وينعكس هذا الموقف على الأموال التي تقدمها الحكومات الغربية، إنهم لا يسألون الناس إلحافًا، ولا يريدون أن يكونوا أمام الدول الغربية أصحاب يد سفلى، ومن أجل العزة واستقلال الإرادة لابد إذن من الاعتماد على النفس، ولابد من تنمية علاقات دولية مع الأشقاء والأصدقاء». ويضيف: «كانت ثورة الإنقاذ تدرك منذ يومها الأول ضرورة الاعتماد على النفس في إنتاج الغذاء والضرورات حتى لا يذلها ويشل إرادتها مَنْ يمدونها بأسباب الحياة».

***

أمَّا عن التوجه الإسلامي لحكومة الإنقاذ فهذا هو العامل الأكبر والأهم في

نجاحها في كل مجال ، سواء في مجال القضاء على التمرد أو في مجال تحقيق التنمية الاقتصادية، وهو أيضًا السبب في استفزاز القوى الدولية ضد ثورة الإنقاذ.. فالتوجه الإسلامي لثورة الإنقاذ يلبي ويستجيب لوجدان الجماهير؛ وبالتالي كان من الطبيعي أن تتحمس تلك الجماهير وأن تلتف حول الثورة، وأن تعمل بأقصى حماستها وجديتها من أجل تحقيق أهدافها ، فكان هذا التوجه الإسلامي هو الذي رفع الروح المعنوية للقوات المسلحة في حربها ضد التمرد ، وهو الذي جعل الشعب السوداني يصبر على المتاعب الاقتصادية وجعله يخرج كل طاقاته الكامنة في العمل من أجل تحقيق الاكتفاء الذاتي من الغذاء. وفي تحقيق أعلى معدل للتنمية الاقتصادية، على أن للتوجه الإسلامي لثورة الإنقاذ في السودان جانبًا مهمًا وخطيرًا لم يلتفت إليه أحد؛ وهو أن هذا التوجه الإسلامي لثورة الإنقاذ سيكون عاملاً مهمًا في القضاء على المشروع التبشيري بالكامل في أفريقيا ، إن شاء الله؛ لأنه أولاً : يقضي على مخططات هذا المشروع في السودان، ولأنه ثانيًا : سيكون له هو ذاته امتداداته الثقافية على القارة كلها، لأن الأسود سيقبل الإسلام من الأسود، خاصة أن أفريقيا عانت وما زالت تعاني من التفرقة العنصرية التي مارسها الإنسان الأبيض الأوربي ضد السود في أفريقيا، فما بالك إذا كانت قيادة الحركة الإسلامية في السودان ترتفع لتكون في موضع الصدارة من الحركات الإسلامية في العالم، أي أن العالم الإسلامي لا يفرق بين الأبيض والأسود والأصفر فقط بل يقبل بأن يصبح الأسود زعيمًا على الأبيض والأصفر، والأفريقي الأسود حين يعرف أن الدكتور حسن الترابي الأسود اللون هو نفسه الذي تختاره الحركات الإسلامية الشعبية ليكون أمينًا عامًا لها، وحين يصفه رجل مثل راشد الغنوشي بأنه أفضل شخصية في العالم الإسلامي خلال عام ١٩٩١ – مجلة العالم اللندنية– عدد ٢١ مارس ١٩٩٢.. قائلاً: «إنني لا أتردد لحظة في اعتبار الدكتور حسن الترابي عن جدارة وأهلية كاملة

ومصداقية غير منتقصة أبرز من أفرزه القدر الإلهي وبوأه للقيادة في الأمة حاليًا، وإننا لن نجد شخصية إسلامية معاصرة اجتمعت فيها من مواصفات القيادة الإسلامية بمعناها العام، ما اجتمع في شخصية حسن الترابي».

نعم ، حين يرى الأفريقي أن الإسلام يتصرف على المستوى العملي، في هذه القضية لدرجة أنه يجعل رجلاً أسود هو المرشح للقيادة، وهو أفضل شخص مسلم صالح للقيادة في هذا العصر الذي يصل فيه تعداد المسلمين إلى أكثر من ١٢٠٠ مليون نسمة بمن فيهم الأبيض والأسود والأصفر والأحمر، وفيهم الأفريقي والآسيوي والأوربي والأمريكي، وفيهم الفارسي والتركي والهندي... إلخ.

حين ينظر إلى ذلك ويقارن هذا بسلوك الكنيسة الأوربية معه التي تمارس هي ذاتها التفرقة العنصرية بين الأسود والأبيض، ولعل هذا السبب كان وراء دخول عدد كبير من السود في أمريكا إلى الإسلام وظهور ما يسمى بحركة «البلاليين» نسبة إلى سيدنا بلال رضي الله عنه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..

■ ■ ■

obeikan.com